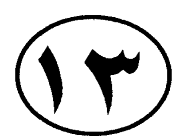
قصص الأنبياء للأطفال



يُونُسُ

(عَلَيْهِ السَّلامُ)

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع

الكتاب:
قصص الأنبياء للأطفال
(يونس) عليه السلام
المؤلف:
ناصر عبد الفتاح
الناشر:
دار
التقـوى
للنشر والتوزيع
٨ شارع زكى عبد العاطى
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس - القاهرة.
ت: ٢٩٨٩٩٤٣
المدير المسئول/ محاسب
عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م
الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م
رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤
I. S. B. N. 977-5840-25-2
كمبيوتر:
آرمس - ت: ٧٩٦٤٤٠٤

اجتمعَ أهْلُ نينَوى بالعِرَاقِ فِى سَاحَةِ القَريَةِ أمامَ مجمُوعَةٍ مِنَ الأصْنامِ نحتُوهَا بأيديهِمْ ، واتَّخذُوهَا آلِهَةً وعَبدُوهَا .

التَفَّ الْقَومُ حَوْلَ الأوْثَانِ وخَرَّ بعضُهُمْ ساجدينَ بينَما جَلَس أحدُهمْ يتوسَّلُ إلَى صَنَمٍ كبيرٍ ، قائلاً :

- يَا إلَهى . يَا رَحيمُ . . اشْفِ زوجَتى الحبيبةَ ورُدَّ إليْهَا صحَّتهَا فإنَّهَا رفيقَةُ حيَاتى وأُمُّ أوْلاَدى ، وأغْلَى مَا لَدىَّ فى الحَيَاة . . . لاَ تَرُدَّنى خَائبًا ، ولا تَجْعَلِ المرَضَ يُهْلِكُهَا .

ذَبَحَ الرجُلُ شاةً بدينَةً ووضَعَهَا تَحْتَ قَدَمَى الصنَمِ قُرْبَانًا إليْهِ كَىْ يُلَبى رَغْبَتَهُ .

اقتَرَبَ رجُلٌ آخَرُ ومَعَهُ كَبْشٌ أَقْرنُ عظِيمُ القَرْنَيْنِ ضَخْمُ الجسمِ قَوِىُّ الصَّوْتِ . . قَدَّمَ الرجُلُ كَبْشَهُ قُرْبَانًا للصَّنَمِ ثُمَّ رَكَعَ فِى خُشُوعٍ .

رَفَعَ الرجُلُ قَامَتَهُ وَطَأْطأَ رأسَهُ فِى خُضُوعٍ ، ثُمَّ خَاطَبَ الصَّنَمَ قائلاً :

- إننِى ذاهِبٌ فِى تجارَةٍ وتَارِكٌ أبنائى فِى حِمَايَتِكَ ، فَاشْمَلْهُمْ

بِرعَايَتِكَ ، وَجنِّبْهِمْ رُفقَاءَ السُّوءِ ، وأبْعِدْ عنهُمُ اللصُوصَ ولاَ تجْعَلْهُمْ يحْتاجُونَ إلى أحَدٍ ، ولاَ يَمُدُّونَ أيديَهُمْ لإنْسَانٍ.

اجْعَلْ تجَارَتِى رَابحَةً ، ونَجِّنِى مِنْ قُطَّاعِ الطُّرُقِ ، وأعِدْنِى سَالِمًا إلَى أوْلاَدِى.

نَهَضَ التَّاجِرُ واسْتَدَارَ عَائِدًا مِنْ حَيْثُ أتَى.

وَقَبْلَ أنْ يَنْصَرِفَ أقْبَلَتْ سَيِّدَةٌ وَرَكَعَتْ أمَامَ الوَثَنِ الكَبِيرِ ثُمَّ سَجَدَتْ طَوِيلاً ، ولَمَّا جَلَسَتْ عَلَى قَدَمَيْهَا انْهَمَرَت الدُّمُوعُ غَزِيرةً مِنْ عَيْنَيْهَا ، فَبَلَّلَتْ رِمَالَ السَّاحَةِ.

مَسَحَتِ السيِّدةُ دمُوعَهَا ، ثُم رفَعَتْ نَظَرَهَا نَحْوَ رَأْسِ الصنَمِ الحجَرِيَّةِ ، وَهَتَفتْ مُتَوَسِّلَةً:

حَيَاتِى سَتَتَمَزَّقُ لأنَّ زَوْجِى يُرِيدُ طِفْلاً وَأنَا لاَ أُنْجِبُ... إنَّكَ تَعْلَمُ يَا إلَهِى أنَّنِى متَزَوِّجَةٌ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، وَأَتَمَنى أنْ أُرْزَقَ بِطِفْلٍ يُسْعِدُ زَوْجِى وَيَحْمِلُ اسْمَهُ وَيُعِينُهُ فِى عَمَلِه عِنْدَمَا يَكْبَرُ وَيُصْبِحُ شَابًّا قَوِيًّا ، وعِندئذٍ سأَخْتَارُ لَهُ زَوْجَةً طَيِّبَةً تُرَافِقُهُ فِى رِحْلَةِ الحَيَاةِ وتُنْجِبُ لهُ طِفْلاً رَائِعَ الحُسْنِ وَأُصْبِحُ جَدَّتَهُ.

واستغرقت السيّدةُ في أحلامها ، وانهمرت دُمُوعها مرّةً أُخرى وعندما هدأت نفسُها خاطبت الصّنم قائلةً :

إنْ حقّقتَ لي رغبتي ورزقتني بطفلٍ يملأُ حياتي بهجةً ، فإنّني سأُقدمُ شاةً قُربانًا لكَ .

سَجدت السّيدةُ مرّةً أُخرى ثم نهضت وعادت من حيثُ أتت .

وهكذا عاش أهلُ نينوى في ضلالٍ ، وعكفوا على الأصنام راكعين ساجدين ، وتوسّلوا إليها خاشعين خاضعين وأنساهُم الشيطانُ ربّهُمْ الخالقَ ووسوسَ إليهم .

ولَمْ يَبْقَ في نينوى أحدٌ يَعْبُد اللهَ سوى رجُلٍ مُؤمنٍ اسمُهُ (يُونُسُ) نشأَ يُونُسُ مُنْذُ صغرِه مُؤمنًا باللهِ مُتّبعًا دينَ أجدادِه الصّالحين وأبى أنْ يَسْجُدَ لصنمٍ واشتدّ ألمُهُ عندما رأى قومَهُ ينْحتُونَ الأحْجارَ ويَصْنَعُون منها تماثيلَ ويَسْجُدونَ لها ويَدْعُونها وهي صمّاءُ عاجِزةٌ لا تسْمعُ ولا تُبْصرُ ، ولا تستطيعُ أنْ ترفعَ يدًا أوْ تُحرّكَ قدمًا .

وأصابَهُ ذُهُولٌ شديدٌ منْ عُقُول قومه الضّعيفة وتفكيرهم الأحمقِ ولَمْ يستطعِ الشّيطانُ أنْ يُؤثّر على يُونُسَ لقُوّة إيمانه

وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَسُمُوِّ فِكْرِهِ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ أَحَسَّ إبليسُ أنهُ انْتَصَرَ عَلَى قَوْمِ يُونُسَ وأنهُ هزَمَهُمْ فِي مَعْرَكَةِ نِينَوَى وَتَذَكَّرَ يومَ قَالَ للهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٨٣)** ﴾ [ص : الآيتان ٨٢، ٨٣]

شَعَرَ إبليسُ بالنشوَةِ لَكِنَّ القومَ معذُورُونَ لأنَّ اللهَ تعَالَى لَمْ يُرْسِلْ إليهِمْ نبيًّا يُحَذِّرُهُمْ وينْصَحُهُمْ ويَرُدُّهُم إلَى الإيمَانِ بربِّهِمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الضَّلالِ ، فإنِ اسْتَجَابَ القَوْمُ لنبيِّهِمْ نَجَوْا جَمِيعًا وَفَازُوا بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وإنْ عَصَوْا وتَمَرَّدُوا أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ الأُمَمَ التِي قَبْلَهُمْ مِنْ سُوءِ المصيرِ وعَذابِ الجَحِيمِ.

* * *

أوْحَى اللهُ إِلَى يُونُسَ وَكَلَّفَهُ بِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى رَبِّهِم الوَاحِدِ الخَالِقِ وَنَبْذِ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ.

انطَلَقَ يُونُسُ إِلَى سَاحَةِ الْقَرِيَةِ حَيْثُ الأصْنَامُ الحَجَرِيَّةُ والناسُ حَوْلَهَا يطُوفُونَ.

اقترَبَ يُونُسُ مِنْ قَوْمِهِ وَسَأَلَهُم : ماذَا تَفْعَلُونَ ؟

قَالَ القَوْمُ مُتعَجِّبينَ : ألاَ تعرِفُ يَا يُونُسُ مَا نَفْعَلُهُ ؟!

إِنَّنا نَعْبُدُ آلِهَتَنا وَنَدْعُوهَا كَيْ تَرْفَعَ الضَّرَرَ عَنَّا .

أَخَذَ النبيُّ يَدْعُو قَوْمَهُ ويُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ أَحْجَارًا صَمَّاءَ لاَ تَسْمَعُ وَلاَ تَعْقِلُ وَلاَ تُبْصِرُ .

غَضِبَ الْقَومُ مِنْ يُونُسَ وأَعْرَضُوا عَنْهُ لأنهُ سَبَّ آلِهَتَهُمْ .

تَسَاءَلَ يُونُسُ مُتَعَجِّبًا : كَيْفَ تعبدُونَهَا وَهِيَ لا تقْدِرُ عَلَى الحَرَكَة ؟ ! . . . إنهَا عَاجِزَةٌ لا تَنْفعُ وَلاَ تضُرُّ .

وأَخْبَرَهُمُ النبيُّ أنَّ اللهَ هو الذى خَلَقَهُمْ وأَمَدَّهُمْ بعُيُون يُبْصِرُونَ بِهَا وأفْوَاهٍ يشْرَبُونَ بِهَا وَوَهَبَهُمْ آذَانًا يَسْمَعُونَ بِهَا حَفِيف أَوْرَاقِ الشَّجَرِ وَرَزَقَهُمْ بِالأَوْلادِ وَالبنَاتِ .

وَسَأَلَهُمْ : مَنِ الذى رَزَقَكُمْ بِالأَمْوَالِ وأَنْبَتَ لَكُمُ الزُّرُوعَ والثِّمَارَ وَخَلَقَ الطُّيُورَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنعَامَ ؟

اللهُ خَالِقُ كُل شَيْءٍ ، وَمُدَبِّرُ الكَوْنِ ، وَرَازِقُ جَمِيعِ الكَائِنَاتِ .

وَأَشَارَ يُونُسُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :

ـ اللهُ الذى يُجْرِى السَّحَابَ وَيأْمُرُهُ فَيُسْقِطُ المطَرَ بِإِذْنِهِ لتَشْرَبُوا مِنْهُ وَتَسقُوا زُرُوعَكُمْ وأَنْعَامَكُمْ .

وَاللهُ خَلَقَ الكَوْنَ الفَسِيحَ وَوَضَعَ فِيهِ الكَوَاكِبَ وَخَلَقَ الأرْضَ وأرْسَى فِيهَا الجِبالَ وأجْرَى فِيهَا الأنْهَارَ والبِحَارَ وَخَلَقَ السمَاوَاتِ السَّبْعَ وَمَنَعَهَا مِنَ الْوُقُوعِ عَلَى الأرْضِ وَخَلَقَ الطُّيُورَ التى تحُلِّقُ فِى الجَوِّ وَالأَسْمَاكَ التى تَسْبَحُ فِى البِحَارِ والأَنْهَارِ والأنْعَامَ التى تَجْرِى فَوْقَ الأرْضِ وَخَلَقَ الشَّمْسَ كَالسِّرَاجِ المتَوَهِّجِ لِتُنِيرَ الكَوْنَ وَتُرسِلَ الدِّفْءَ وَخَلَقَ القَمَرَ لِيُضِيءَ الظَّلاَمَ وَيَهْدِىَ المسَافِرِينَ وَخَلَقَ النُّجُومَ المُتَلأْلِئَةَ.

وَسَأَلَهُمُ النبىُّ: مَنِ الذى يَسْتَحِقُّ أنْ تَعْبُدُوهُ؟ اللهُ الذى خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ أمِ الأصْنَامُ التى صَنَعْتُمُوهَا بأَيديكُمْ؟

صَمَتَ القَوْمُ وانْصَرَفَ بعضُهُمْ غَاضِبًا مِنْ كَلامِ يُونُسَ.

تَسَاءَلَ يُونُسُ مُسْتَنْكِرًا:

أتَعْبُدُونَ أشْيَاءَ تَصْنَعُونَهَا بأَيْدِيكُمْ؟!... كَيْفَ تعتبرُونَهَا آلِهَةً وَهِىَ مَصْنوعَةٌ؟! كيفَ تعتبِرُونهَا خَالقةً وهى مَخْلُوقَةٌ؟!

لِلْكَوْنِ إلَهٌ واحِدٌ وَهُوَ اللهُ تَعالَى وَهُوَ فِى السَّمَاءِ وعِلمهُ فِى كُلِّ مَكانٍ لا يَخلُو مِنْ عِلمِهِ مكانٌ. وَلاَ يَراهُ البَشَرُ، والملائِكَةُ حَوْلَهُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَتَدْعُوهُ.

وَإِنَّكُمْ سَتُحَاسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ بَعْدَ الموتِ فإنْ تُبْتُمْ إِلَى اللهِ وَعُدْتُمْ إِلَى دِينِهِ فَسَتَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَتَعِيشُونَ فِيهَا وَتنالُونَ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ حُلْوِ الشَّرَابِ وَلَذِيذِ الطَّعَامِ.

أَمَّا إِنْ رَحَلْتُمْ عَنِ الدُّنْيَا وأَنْتُمْ عَاصُونَ ، فإِنَّكُمْ ستلْقون في النَّارِ وتشربُونَ الماءَ المْغليَّ وتأْكُلونَ الأشواكَ وتَبْقَوْنَ فيهَا خَالدينَ.

أعْرَضَ القَوْمُ عَنْ نبيهِمْ وأَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وتَمَسَّكُوا بِضَلالِهِمْ.

تأَلَّمَ يُونُسُ مِنْ فِعْلِ قَوْمِهِ وَدَعَاهُمْ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ دُونَ يَأْسٍ لَكنَّهُمْ عَانَدُوا وَتَشَبَّثُوا بِأَصْنَامِهْم وَأَغْلَقُوا آذَانَهُمْ حَتَّى لا يَسْمَعُوهُ وَسَخِرُوا مِنْهُ وتوَعَّدُوهُ.

اشْتَدَّ حُزْنُ النبيِّ وَسَيْطَرَ عَلَيْهِ الغَمُّ والضِّيقُ ، ولَكِنَّ اليَأْسَ لَمْ يَتَسَرَّبْ إِلَى نَفْسِهِ.

* * *

عَادَ يُونُسُ يَدْعُو قَوْمَهُ لكنَّهُ أَدْرَكَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنوا باللهِ فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ وأَخْبَرَهُمْ أنَّ اللهَ سَيُنْزِلُ عَلَيهِمُ العَذَابَ بَعْدَ ثلاثِ لَيَالٍ.

وَتَرَكَهُمْ نبىُّ اللهِ وانْصَرَفَ عَائدًا إِلَى بَيْتِهِ.

اجْتَمَعَ القَوْمُ يَبْحَثُونَ أَمْرَ العَذَابِ الذى توَعَّدَهُمْ بِهِ يُونُسُ وَتَسَاءَلُوا: هَلْ سَيَقَعُ العَذَابُ فِعْلاً؟

قَالَ زَعِيمُ الْقَوْمِ: يُونُسُ رَجُلٌ لاَ يَكْذِبُ.

قَالَ آخَرُ: تَقْصِدُ أَنَّ إِلَهَ يُونُسَ سَيُهْلِكُنَا مِثْلَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ؟

قَالَ زَعِيمُ الْقَوْمِ: لاَ أَعْرِفُ... لَكِنْ إِنْ بَقِىَ يُونُسُ مَعَنَا فَلَنْ يَنْزِلَ العَذَابُ، وإِنْ رَحَلَ عَنِ القَرْيَةِ فَإِنَّ رَبَّهُ سَيُنْزِلُ العَذَابَ وَيُهْلِكُنَا جَمِيعًا فِى المَوْعِدِ الذى حَدَّدَهُ.

وَأَسْرَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ إِلَى بَيْتِ يُونُسَ يَبْحَثُونَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ.

انْطَلَقُوا يُفَتِّشُونَ فِى جَمِيعِ أَنْحَاءِ القَرْيَةِ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ أَثَرًا.

صَرَخَ زَعِيمُ الْقَوْمِ: صَدَقَ يُونُسُ.. العَذَابُ سَيَقَعُ بِنَا.

وَأَدْرَكَ القَوْمُ أَنَّ كَلاَمَ يُونُسَ حَقٌّ وإِلَهَهُ خَالِقٌ يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ وَنَدِمُوا عَلَى السَّنَوَاتِ التى قَضَوْهَا فِى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ العَاجِزَةِ التى لاَ تَنْفَعُ ولاَ تَضُرُّ، وتَأَلَّمُوا لأَنهُمْ أَغْضَبُوا نَبِيَّهُمْ وسَخِرُوا مِنْهُ وتَمَرَّدُوا عَلَيْهِ، وتَذَكَّرُوا نَارَ الْجَحِيمِ التى تَشْوِى الأَجْسَامَ واشْتَهَوْا جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

واندفعَ أهْلُ نينَوَى يَجْرُونَ منْ بُيُوتِهِمْ فِي فزَعٍ وَهُمْ يَحْمِلُونَ الفُئُوسَ وَتَجَمَّعُوا فِي سَاحَةِ القَرْيَةِ واشْتَدَّ الزِّحَامُ.

امْتلأَت السَّاحَةُ بالأطْفَالِ والعَجَائِزِ والرجَالِ والنسَاءِ وقَدْ أصَابَهُمْ هَلَعٌ وَرُعْبٌ شَدِيدٌ.

انهَالَ الرجَالُ بالفُئُوسِ عَلَى الأصنَامِ فحطَمُوهَا ودَكُّوهَا فلَمْ يَبْقَ لَهَا أثَرٌ وتسَاقَطت الدُّمُوعُ الغَزيرَةُ منْ أعْيُنِهِمْ حتَّى بلَّلَت الرِّمَالَ.

وأعْلَنُوا تَوْبَتَهُمْ ونَدَمَهُمْ وتَوسَّلُوا إلَى اللهِ أنْ يَرْفَعَ عَنْهُمُ العَذَابَ وَيَرْضَى عَنْهُمْ. وأخَذَت المَاشِيَةُ والبَقَرُ والإبلُ وَسَائرُ الحَيَوانَاتِ تَصِيحُ بصوْتٍ عَالٍ حَزينٍ وكَأنَّهَا تَتَوسَّلُ إلَى اللهِ كَيْ يَرْفَعَ العَذَابَ لأنهَا لَمْ تَسْجُدْ لِصَنَمٍ وهِيَ تُسَبِّحُ رَبَّهَا كُلَّ يَوْمٍ. تَقَبَّلُ اللهُ تَوْبَةَ قَوْمِ يُونُسَ وَغَفَرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَرَفَعَ عنهُمُ العَذَابَ قَبْلَ نُزُولِهِ بسَاعَاتٍ.

وأصْبَحَ أهْلُ نينَوَى مُؤْمنينَ يَعْبدونَ اللهَ ويسْجُدُونَ لَهُ ويتَقرَّبُونَ إليهِ لَكنْ ... أيْنَ ذَهَبَ نبِيُّ اللهِ يُونُسُ؟

* * *

انْطَلَقَ يُونُسُ غَضْبَانَ مِنْ قَوْمِهِ لأنهُمْ أصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ واتَّبَعُوا الضَّلاَلَ وَنَبذُوا الإيمانَ وأخَذَهُمُ الغُرُورُ فَصَارُوا يَسْخَرُونَ مِنْ نبيِّهِمْ تَارَةً ويُهَدِّدُونَهُ تَارَةً أُخْرَى.

فَارَقَ النبيُّ قَوْمَهُ وارْتَحلَ عَنْ قَرْيَتِهِ وَسَارَ فِي طَرِيقٍ مُخْتَرِقًا الرِّمَالَ وَقَلْبُهُ يَعْتَصِرُ مِنَ الأَلَمِ وفِي نَفْسِهِ حُزْنٌ وأسَىً وكَادَ الْهَمُّ يَقْضِي عَلَيْهِ.

قَطَعَ يُونُسُ مَسَافَةً طَوِيلَةً وهُوَ لاَ يَدْرِي كَمْ مَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْوَقْتِ لأنَّهُ كَانَ سَارِحًا فِي التَّفْكِيرِ وَذِهْنُهُ مَشْغُولٌ تَمَامًا بمصيرِ قَوْمِهِ وَمَا سَيُلاَقُونَهُ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ بَعْدَ أنْ تجَاهَلُوا النُّصْحَ والوَعِيدَ.

انْتَهَتِ الصَّحْرَاءُ وَوَجَدَ يُونُسُ نَفْسَهُ وَاقِفًا أمَامَ بَحْرٍ عَظِيمٍ مِيَاهُهُ صَافِيَةٌ وَأَمْوَاجُهُ هَادِئَةٌ وَسَمَاؤُهُ زَرْقَاءُ وَطُيُورُه تُحَلِّقُ فِي نَشْوَةٍ وَمَرحٍ. رَأَى النبيُّ زِحَامًا شَدِيدًا فَوْقَ الشَّاطِئِ وأمتِعَةً مُلْقَاةً عَلَى حَبَّاتِ الرِّمَالِ النَّاعِمَةِ وسَفِينَةً عَظِيمَةً رَاسِيَةً فِي الْبَحْرِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ.

وَقَفَ يُونُسُ بَيْنَ المُسَافِرِينَ وَقَرَّرَ الرَّحِيلَ والابتعادَ نِهَائِيًا عَنْ أَرْضِ الفَاسِقِينَ.

اقْتَرَبَ النبيُّ يُونُسُ مِنْ صَاحِب السَّفِينةِ واتَّفقَ معَهُ علَى السَّفرِ. رَحَّبَ الرجُلُ بِرَغْبَةِ يُونُسَ وَأعجَبَهُ خَجَلهُ وَأدَبُهُ ورقَّةُ حديثِه.

وَلَمَّا حَانَ مِيعادُ الرَّحيلِ صَاحَ صَاحِبُ السَّفِينةِ:

هَيَّا يا رِجَالُ... احْملُوا أمْتعَتَكُمْ وارْكبوُا السَّفِينَةَ.

رَفَعَ المسَافِرُونَ أمْتعَتَهُمْ وَانْدَفعُوا نَحْوَ السَّفِينَةِ يَتسَابَقُونَ للفوْزِ بمقْعَدٍ مُرِيحٍ ودَفَعَهُمْ إِلَى ذَلكَ مَشَقَّةُ السَّفَرِ وَطُول الطَّرِيقِ وَمُفَاجَآت الْبَحْرِ مِنْ عَوَاصِفَ وَزَوَابِعَ.

امْتلأَ الفُلكُ بالمسَافِرِينَ واشْتَدَّ الزِّحَامُ واسْتَعَدَّ الجَمِيعُ لِلرَّحِيلِ. انْطَلَقت السَّفِينَةُ تَسِيرُ بِبُطْءٍ لِثقَلِ حُمُولَتِهَا وَلَمَّا أصْبَحَتْ فِى وَسْطِ الْبَحْرِ غَطَّت السَّمَاءَ سُحُبٌ دَاكنةٌ وَأخَذَت الرِّيَاحُ تُزمْجِرُ وبَعْدَ مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ هَبَّتْ عَاصِفَةٌ عَاتِيَةٌ وَارْتَفَعَتْ أمْوَاجُ الْبَحْرِ وانْدَفَعَتْ تَضْرِبُ جَوَانِبَ السَّفِينَةِ فِى عُنْفٍ، وَأُصِيبَ المسَافِرُونَ بالرُّعْبِ خَاصَّةً عِنْدمَا ازْدَادَ ارْتِفَاعُ الأمْوَاجِ وأخَذَت السَّفِينةُ تَهْتَزُّ اهْتزازًا عَنيفًا.

ظَلَّتِ الرِّيَاحُ تُزَمْجِرُ وَالأمْوَاجُ تَعْلُو وَالنَّاسُ يَصْرُخُونَ مِنَ الرُّعْبِ.

صَاحَ صَاحِبُ السَّفِينَة : لاَبُدَّ أنْ نُلْقِيَ بِأحَدِنَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى تَخِفَّ حُمُولَةُ السَّفِينَة فَلاَ تَغْرقَ .

اجْتَمعَ المسَافِرُونَ وَعَمِلُوا قُرْعَةً كَيْ يَخْتَارُوا مَنْ يُلْقُونَهُ فِي الْبَحْرِ . وَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ فَتَعَجَّبَ النَّاسُ وقَالُوا :

نُعِيدُ الْقُرْعَةَ . . . لأنَّ يُونُسَ رجُلٌ صَالِحٌ .

وَأعَادُوا القُرعَةَ فوَقَعَتْ عَلَى يُونُس مَرَّةً أُخْرَى .

وَأعَادُوهَا مَرَّةً ثَالثةً فوَقَعَتْ عَلَى يُونُسَ .

نَظَرَ النبيُّ إلَى البَحْرِ وَدَعَا رَبَّه ثُم أَلْقَى بِنَفْسِه فِي اليمِّ وَأَخَذَ جِسْمُهُ يَغُوصُ وَيَغُوصُ وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَى الأَعْمَاقِ فُوجِئَ بحُوت ضَخْمٍ يقْتَرِبُ مِنْهُ . فَتَحَ الحُوتُ فَمَهُ الوَاسِعَ وابْتَلَعَهُ فِي جَوْفِه وَلَمْ يَمَسَّهُ بأذَى لأنَّ اللهَ أمَرَهُ أنْ يَبْتَلِعَ يُونُسَ دُونَ أنْ يَجْرَحَهُ بفَكَّيْه الضَّخْمَيْنِ .

نَظَرَ النبيُّ حَوْلَهُ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا لأنَّ بَطْنَ الحُوت كَانَتْ مُظْلِمَةً جدًّا . حَرَّكَ يُونُسُ يَدَيْه وَقَدَمَيْه وَسَجَدَ شُكْرًا لله دَاخِلَ بَطْنِ الحُوت لأَنَّهُ أنْقَذَهُ مِنَ الغَرَقِ وَهَيَّأَ لَهُ بَيْتًا آمِنًا بَعِيدًا عَنِ الأسْمَاك المتوحِّشَة .

ظَلَّ يُونُسُ داخِلَ بَطْنِ الحُوت أيَّامًا ولَيَالِيَ لا يَعْرِفُ عَدَدَهَا لأنهُ يُقِيمُ فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ لاَ ضَوْءَ فِيه.

وَسَمِعَ النبيُّ أصْوَاتًا قَادِمَةً مِنْ جَمِيعِ الجِهَات وتَسَاءَلَ: مِنْ أيْنَ تَأْتِي الأصْوَاتُ؟

أنْصَتَ يُونُسُ قَلِيلاً وَحَاولَ أنْ يَعْرِفَ مَصْدَرَ الأصْوَات وَأوْحَى اللهُ إلَيْهِ أنَّ مَا سَمِعَهُ لَمْ يَكُنْ إلاَّ تَسْبِيحَ الحِيتَانِ والأسْمَاك والصُّخُور نَدِمَ يُونُسُ لأنهُ غَضِبَ مِنْ قَوْمِهِ وتَرَكَهُمْ دُونَ أنْ يَأذَنَ اللهُ لَهُ.

وَهَا هُوَ الآنَ يَعِيشُ فِي بَطْنِ حُوتٍ مُظْلِمٍ فِي بَحْرٍ مُظْلِمٍ فِي لَيْلٍ مُظْلِمٍ إنهَا ظُلُمَاتٌ ثَلاثٌ تحِيطُ بِه.

دَعَا النبيُّ رَبَّه قَائِلاً:

﴿ **لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾.

[الأنبياء الآية: ٨٧]

وفِي الحَالِ أمَرَ اللهُ تَعَالَى الحُوتَ فَخَرَجَ مِنَ البَحْرِ وَوَضَعَ يُونُسَ عَلَى الشَّاطِئِ وأنْبَتَ الخَالِقُ شَجَرَةَ قَرْعٍ لِيَأْكُلَ مِنْهَا وَأرْسَلَ إلَيْهِ شَاةً تَسْقِيهِ بِلَبَنِهَا.

اخْتَارَ اللهُ تعَالىَ القَرْعَ لأنهُ نبَاتٌ لَذيذٌ يُؤْكَلُ نَيِّئًا وَهُوَ مُفِيدٌ لتَقْوِيةِ الجِسْمِ.

وَكَانَ يُونُسُ قَدْ أصَابَهُ وَهَنٌ شَدِيدٌ أثْنَاءَ إقَامَته فِى بَطْنِ الحُوتِ. اسْتَرَدَّ النبىُّ صِحَّتَهُ وَسَجَدَ شُكْرًا للهِ وَكَافَأهُ رَبُّهُ بأَنْ أَرْسَلَهُ إلَى أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ إنْسَانٍ لِيَدْعُوَهُمْ إلَى الإيمَانِ بِاللهِ فَآمَنُوا بِهِ.

● ● ●